تفريغ

شرح السيرة النبوية

الشيخ
عرفات حسن المحمدي

قام بها
فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

شرح السيرة النبوية

للشيخ الفاضل عرفات المحمدي
حفظه الله

ضمن الدروس المباشرة التي ينظمها
موقع ميراث الأنبياء

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرس في السيرة النبوية ألقاه الشيخ عرفات بن حسن المحمدي – حفظه الله تعالى – نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع.

الدرس السادس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم – أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، خير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:

تكلمنا في الدرس الماضي فيما يخص سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – حول تزويج خديجة، ثم تطرقنا إلى الكلام حول بناء الكعبة، وذكرنا أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قد شارك قومه في بناء الكعبة وكان عمره – عليه الصلاة والسلام – خمسًا وثلاثين سنة لهذا أو حينما ذكرنا ذلك ذكرنا كذلك أنه – عليه الصلاة والسلام – حصل له وهو يحمل الحجارة في بعض الروايات أنه كان غلاما وفي بعض الروايات أنه لما بنى الكعبة مع عمه كما جاء من حديث العباس أُغمي عليه – عليه الصلاة والسلام – حينما جعل إزاره على عاتقه من الحجارة لهذا جاء في الصحيحين قال لما بُنيت الكعبة ذهب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل – عليه الصلاة والسلام – فلما فعل خر إلى الأرض وطُمحت عيناه إلى السماء يعني ارتفع بصره – عليه الصلاة والسلام – إلى السماء وهو يقول إزاري فشد عليه إزاره في خارج الصحيح ناداه منادٍ يا محمد خمر عورتك فخمر – عليه الصلاة والسلام – عورته وغطاها.

هذا الحديث وإلى جانبه كثير من الأحاديث تدل دلالة واضحة وقطعية بأن الله – تبارك وتعالى – قد عصم نبيه – عليه الصلاة والسلام – قبل النبوة وبعدها كما سيأتي معنا من كل ما يمس قلبه أو عقيدته بسوء فما كان – عليه الصلاة والسلام – يعبد الأوثان ولا كان يتمسح بالأصنام ولا كان يحلف بها ولا كان يشرك بالله، وسيأتي معنا هذا وهذه الأدلة تؤكد ذلك فها هو ربه – سبحانه وتعالى – يستره وينادي منادٍ فيقول له خمر عورتك يا محمد

فهذه من العصمة ومن الستر الذي حصل للنبي – عليه الصلاة والسلام – قبل أن يكون نبيًا ولهذا جاء عند ابن إسحاق في سيرته بإسناد صحيح من حديث جبير بن مطعم – رضي الله عنه – قال جُبير:" لقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات حتى يدفع معهم توفيقًا من الله – عز وجل –، في بعض الروايات قال: "وهو على دين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله – عز وجل – "

وجاء عند أحمد وعند الطبراني أيضا أنه قال أي جبير بن مطعم:" رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل أن ينزل عليه أي قبل أن يكون نبيا وقبل أن يبعث وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقا من الله"

ما معنى هذا الكلام؟ أي أن النبي – عليه الصلاة والسلام – ما كان يشارك قريشًا فيما تصنعه فقد ذكرنا في الدرس الماضي أن قريشًا كانت تسمي أنفسهم بالحُمس أي الذين هم أهل الصلابة والشدة في الدين فكانوا يقفون في مزدلفة ولا يخرجون إلى عرفات بزعمهم أن هذا من الحرم وأن عرفات ليس من الحرم فيقولون نحن الحُمس نحن أهل الحرم فيبقون في مزدلفة، النبي – صلى الله عليه وسلم – خالفهم كان يخرج إلى عرفات فجبير يقول:" رأيته هناك في عرفات لا يقف مع قريش"

لهذا جاء في الصحيحين من حديث جبير نفسه – رضي الله عنه – قال:" أضللت بعيرًا لي بعرفة فذهبت أطلبه فإذا النبي – صلى الله عليه وسلم – واقفا، واقفٌ أين؟ في عرفات فقلت إن هذا من الحمس ما شأنه ها هنا؟" يتعجب جبير بن مطعم يقول كيف هذا الرجل الذي هو محمد وهو معروف أنه من قريش ومن الحمس ما باله ترك الحمس وخرج من الحرم وذهب إلى عرفات؟

إذًا هذه الأدلة وستأتي معنا أدلة كثيرة تبين لنا أن الله – عز وجل – كان يكلأ ويحفظ نبيه – عليه الصلاة والسلام – ويحوطه مما تصنعه قريش من أقذار الجاهلية ومن معايبها لما يريد الله – عز وجل – به أي برسول الله من كرامته ومن إكرامه بهذه الرسالة حتى بلغ ما بلغ – عليه الصلاة والسلام – فمما لا شك فيه ولا ريب أنه كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا – عليه الصلاة والسلام – بل كان أعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة كانوا يسمونه الصادق الأمين وكان بعيدًا من الفحش والأخلاق التي

تدنس الرجال، لهذا جاء من حديث علي جاء عند ابن إسحاق في سيرته ساقه ابن إسحاق بإسناده، وإن كان الإسناد عند التحقيق لا يصح لأنه من طريق محمد بن عبدالله بن قيس بن مخرمة رواه ابن إسحاق عن شيخه محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، وهذا الرجل لم يوثقه معتبر، ما وثقه أحد من أهل الجرح والتعديل أو من أهل التعديل إلا ما ذكره ابن حبان في ثقاته وابن حبان معروف في توسعه في توثيق المجاهيل، هذا الرجل ما وثَّقه معتبر لهذا ضعف هذا الحديث كثير من أهل العلم والمحققين ومن آخرهم الشيخ الألباني – عليه رحمة الله – هذا الحديث حديث علي يقول أنه سمع النبي – عليه الصلاة والسلام – يقول: ((مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ)) يعني ما كنت أفعل القبح وما هميت أصلا إلا مرتين من الدهر يعني هميت بهذا الشيء ((كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا)) يعني مع أني ما هممت بشيء إلا هاتين المرتين إلا أن الله – تبارك وتعالى – عصمني منهما، ((قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لأَهْلِنَا نَرْعَاهَا)): يقول النبي – عليه الصلاة والسلام – لهذا الفتى: ((أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ)) فقال له الغلام: نَعَمْ، فخرج النبي – عليه الصلاة والسلام –، حتى دخل مكة وجاء إلى أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً، وَصَوْتَ دُفُوفٍ، وَمَزَامِيرَ.

فسأل – عليه الصلاة والسلام – قال: مَا هَذَا؟

قالوا: قَالُوا: فُلانٌ تَزَوَّجَ فُلانَةَ، لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فدخل – عليه الصلاة والسلام – وأراد أن يلهو معهم فلما بدأ إذا بالنبي – عليه الصلاة والسلام – أراد أن يلهو معهم ويسمع هذا الصوت والمزامير فغلبه النُعاس، جاء في الرواية قال: ((حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلا مَسُّ الشَّمْسِ)) يعني ما صحى إلا من اليوم الثاني – عليه الصلاة والسلام – ما شاركهم عصمه الله – عز وجل – بالنوم، ((فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟))

فَأَخْبَرْهُ، بالخبر، ثم من اليوم الثاني هم – عليه الصلاة والسلام – فاستأذن هذا الغلام وخرج فدخل مرة أخرى فأراد أن يشاركهم في اللهو فغلبته عيناه فنام فما أيقظه إلا مس الشمس، ثم رجع إلى صاحبه.

فقال – عليه الصلاة والسلام – كما جاء في رواية علي: ((مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ))، هذا رواه ابن إسحاق لكن كما ذكرت لكم من

طريق محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة فالحديث لا يصح، لكن ذكره العلماء أنه من الأدلة على أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان معصومًا من القبائح والأقذار والأشياء التي كانت تصنعها قريش، وجاءت أدلة كثيرة صريحة بل أوضح في الدلالة والصراحة من هذا الحديث لكن كثير منها ضعيف ولا يصح لكن بالجملة كما ذكرت لكم كان النبي – عليه الصلاة والسلام – معصومًا، لهذا نجد أن بعض أهل الأهواء أو بالأصح المستشرقين والمستغربين الذين يريدون أن يطعنوا في هذا الإسلام وفي القرآن وفي كذلك نبي الإسلام – عليه الصلاة والسلام – يأتون إلى بعض الأدلة فيفهمونها بفهمهم السقيم وسأبين مثالًا لما استدل به بعض هؤلاء المستشرقين على أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان على دين قومه بمعنى أنه كان يتمسح ويعبد الأوثان والأصنام وكان يأكل أيضا ما ذُبح على النصب تقربًا لهذا النصب أو هذا الصنم وكان يفعل ما يفعله كفار قريش من مظاهر الكفر والشرك والضلال والشك وإلى آخره من كلامهم العفن، استدلوا بقول الله – تبارك وتعالى – ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[الضحى:7] قالوا هذا دليل على أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان على دين قومه تمامًا كان ضالًا يعبد الأصنام ويفعل ويفعل حاشاه – عليه الصلاة والسلام – بأبي هو وأمي فنقول لهؤلاء هذه الآية ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ ما معنى الضلال في هذه الآية؟

وإذا كنتم تعرفون أن القرآن قد نزل بلغة العرب فما معنى كلمة الضلال في لغة العرب؟ وكيف تستعمل هذه الكلمة؟

لا بد أن نعرف جميعا أن كلمة ضل أو ضلل أو مادة ضلل أو ضال أو ضلال كلها هذه الكلمات استعملت في القرآن واستعملت باللغة في عدة معانٍ فمن ذلكم نجد أن من معانيها في القرآن وفي لغة العرب المفارقة وشدة البعد عن الشيء عندما تفارق شيئا وتبتعد عنه يُقال هذا ضال ضل أي بعد وفارق الشيء فإذا فارقت الأماكن سميت ضالا، إذا فارقت الأشياء، إذا فارقت الأعمال، فالضلال يؤدي إلى البعد والمفارقة والغيبة والنسيان والضياع كل هذا من معاني الضلال.

ولهذا سأذكر الآن الأدلة من كتاب الله – تبارك وتعالى –

❖ أليس الله – عز وجل – يقول: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة:10] هذه الآية ما معنى هنا ضللنا في الأرض؟ هذه الآية معناها أي غُيّبنا في الأرض والمراد به الميت إذا دُفن وغُيّب تحت التراب وصار بعد ذلك أو قد تحول إلى ماذا؟ أي جسمه غاب في التراب وانتشر فصار بين التراب ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾، هذا المعنى الأول.

❖ كذلك الله – عز وجل – يقول عن الكفار حينما يأتون يوم القيامة فتغيب عنهم الآلهة التي كانوا يعبدونها وتبتعد عنهم فما تنفعهم فهذا الغياب ماذا قال الله عنه؟ ماذا خاطب المشركين؟ ماذا قال لهم؟ قال سبحانه عن غياب هذه الآلهة عمن أو ممن أشركوا به من المشركين يقول الله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:24] ضل عنهم أي ابتعد وغاب ما نفعهم ضاع.

❖ وكذلك من معاني الضلال ضلال الأعمال أي ضياع الأعمال وعدم رجوع منفعتها على صاحبها فلا تُحسب في ميزان حسناته أليس الله – عز وجل – يقول في القرآن: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:104] ما معنى ضل سعيهم؟ أي أنه ضاع وما ينفعهم هذا العمل الذي عملوه في الدنيا، إذًا هذا بمعنى البعد والمفارقة إذًا المفارقة قد تكون للمكان قد تكون للطريق فيضل عن المكان هذه معانٍ كثيرة.

لهذا أخوة يوسف – عليه السلام – ماذا قالوا لأبيهم عندما رأوا أباهم يحب يوسف ويقربه، رأوا أن هذا هو إبعاد ومفارقة لهم كونه يقرب يوسف فقالوا له أو قالوا وهم يتشاورن بينهم البين ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:8] ما معنى في ضلال مبين؟ هل كان يعبد الأصنام والأوثان؟ إنما أرادوا التقريب والبعد فأُبعدوا هم بتقريب يوسف أو بتقريب أبيهم ليوسف – عليه السلام – فسموا ذلك ضلال مبين هذا يدل على البعد والمفارقة، ويؤكد ذلك أنهم لما التقوا بيوسف وحصل ما حصل وأتوا بالقميص قال الله – عز وجل – عندما جاءوا إلى أبيهم ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[يوسف] ضلالك

القديم يعني على ما أنت عليه تحب يوسف وتقربه ويلزم من ذلك أن تباعدنا أو أن تبعدنا وتفارقنا.

❖ وكذلك امرأة العزيز عندما فعلت ما فعلت مع فتاها يوسف – عليه السلام – اتهموها النسوة بالضلال ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف:30] ما هو هذا الضلال المبين الذي حصل من هذه المرأة؟ قالوا إنها فعلت شيئًا يخرج عن طبع الحرة لأن الحرة والحرائر لا يراودن غلمانهن هذه راودت من؟ راودت فتاها فهذا شيء يخرجها ويباعدها ويفارقها عن باقي الحرائر فسموا ذلك ضلالًا مبينًا

❖ بل من معاني الضلال النسيان يقول الله – عز وجل – عن قضية الشهادة بالنسبة للمرأة ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[البقرة:282] ما معنى هذا تضل هنا؟ أي تنسى.

إذًا هذا كله من معاني الضلال فأصل هذا المعنى أو أصل هذه الكلمة هو البعد والمفارقة إذًا ما معنى قول الله – عز وجل -: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾؟ أي بمعنى أنه لما كان المشركون من أهل مكة مجتمعين على الكفر ومجتمعين على الشرك ومجتمعين على عبادة الأصنام والأوثان وأنت يا محمد قد فارقتهم على ما اجتمعوا عليه، ما كنت معهم تعبد الأصنام ولا تسجد لها ما كان – عليه الصلاة والسلام – يعظمها ولا يتقرب إليها.

إذًا هذا هو البعد والمفارقة التي كانت من النبي – عليه الصلاة والسلام – ولهذا كان يختلي – عليه الصلاة والسلام – كما سيأتي معنا يختلي في غار حراء ما كان يشارك قومه فيما كانوا يصنعونه، ومع ذلك إذا قرأت في كتب التفسير وذهبت تنظر فيها ستجد أن العلماء – عليهم رحمة الله – علماء المسلمين وعلماء التفسير يفسرون هذه الآية بثلاثة تفاسير ستجد أنهم على ثلاثة أقوال وسأذكر لك هذه الأقوال باختصار:

- منهم من يقول ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أي ووجدك لا تعرف عن الشرائع شيئا، ما تعرف شرائع الإيمان لهذا قال الله لنبيه وهو يؤكد هذا أن النبي – عليه الصلاة والسلام – ما كان يعرف الشرائع ماكان يعرف الأحكام ما كان يعرف الكتاب ما كان يعرف الإيمان الذي هي الشرائع شُعب الإيمان لهذا قال الله في القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)﴾[الشورى] وقال الله – عز وجل – ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[يوسف:3] أي ما كنت تدري، كنت غافلا عن هذا فعلمك الله لهذا قال الله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء:113] هداه الله – عز وجل – إلى هذه المناهج وإلى الشرائع فبين له الكتاب وعلمه الإيمان وعلمه ما لم يكن يعلم.

- ومنهم من يقول ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي في قوم ضلال فهداهم الله بك يا محمد أو هداك إلى إرشادهم وتعليمهم إلى الحق وإلى التوحيد هذا ما ذكره أهل التفسير.
- ومنهم من يقول وهو القول الثالث أن الضلال هنا حقيقة على أصله أي بمعنى أن الرسول لما كان صغيرا وكان مع جده وفي بعض الروايات مع عمه ضل الطريق كان راكبًا على ناقة فجاء إبليس فأخذ بزمام هذه الناقة فعدل بها عن الطريق فضل – عليه الصلاة والسلام – إلا أن الله – عز وجل – أرسل جبريل – عليه السلام – فنفخ إبليس نفخة حتى وقع منها ثم رجع النبي – عليه الصلاة والسلام –.

وجاء أيضا من حديث ابن عباس أنه ضل وهو صغير عن جده في شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده لجده وقد كان جده قد تعلق بأستار الكعبة يتضرع إلى الله تعالى في أن يرد إليه محمدًا.

وبعضهم قال ضل – عليه الصلاة والسلام – فوجدوه لما كان عند حليمة السعدية فذهب جده وطاف بالبيت سبعا وتضرع إلى الله فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربًا لا يخذله ولا يضيعه وأن محمدا بوادي كذا وكذا عند شجرة كذا وكذا فسار عبد المطلب وكان معه ورقة بن النوفل فوجدوا النبي – عليه الصلاة والسلام–

هذه الأقوال كلها أصح الأقوال ما ذكرناه أولا، أصح الأقوال التي عليها المحققون من أهل السنة أن النبي – عليه الصلاة والسلام – ما كان يعرف الشرائع ما كان يعرف الكتاب، علمه ربه كما قال ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ وكونه أيضا وجد في قوم ضلال فهداهم الله – عز وجل – بمحمد – عليه الصلاة والسلام – إذًا هذا معنى الآية ولا مجال للمستشرقين ولغيرهم ممن أرادوا أن يطعنوا في عصمة النبي – عليه الصلاة والسلام – وأن يطعنوا في

عقيدته بل ما كان يتمسح – عليه الصلاة والسلام – بالأصنام ولا كان يحلف بها ولا كان يعبدها ولهذا أعجبني ما ذكره الإمام الذهبي – عليه رحمة الله – في كتابه السير يقول الإمام الذهبي – عليه رحمة الله –: "وما زال المصطفى محفوظا محروسًا قبل الوحي وبعده ولو احتمل جواز ذلك"، طبعا هو كان يتكلم عن قضية أكل النبي – عليه الصلاة والسلام – من ذبائح قريش وهذا سنذكره نحن أولا لما تكلمنا كان كلامنا منصب عن تفسير الآية وعن أن النبي – عليه الصلاة والسلام – ما كان يعبد الأصنام هذا بإجماع العلماء، هناك شيء اختلفوا فيه سأذكره وسأذكر الاختلاف لكن الآن أريد ما قاله الذهبي – عليه رحمة الله — يقول: "ما زال المصطفى محفوظا محروسا قبل الوحي وبعده – حتى قال – عليه رحمة الله – عندما ذكر الذبائح قال: "فبالضرورة ندري أنه كان يأكل من ذبائح قريش قبل الوحي" طبعا هنا لنا وقفة في قضية هل أكل النبي – عليه الصلاة والسلام – من ذبائح قريش؟ هذه سنذكرها بالتفصيل إن شاء الله، قال الذهبي: "وكان ذلك على الإباحة" يعني الذهبي يرى أن النبي – عليه الصلاة والسلام – أكل من ذبائح قريش لكن علينا أن نتنبه ما المقصود هنا بذبائح قريش، ليس المقصود هنا بالتي كانت تقرب للأوثان إنما المراد الذبائح التي كانت لحم تؤكل للطعام فقط وليس التي تقرب للأوثان والأصنام أبدًا هذا لا يدخل ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه رحمة الله – ذكر هذه المسألة وفصّل فيها وقال: "ما كان النبي – عليه الصلاة والسلام — يفعل هذا" أي بمعنى أنه يأكل من الذبائح التي تقدمها قريش ولهذا سأذكر لكم كلام شيخ الإسلام – عليه رحمة الله – إذا انتهيت من ذكر كلام الإمام الذهبي

فقال الإمام الذهبي: "وكان ذلك على الإباحة وإنما توصف ذبائحهم بالتحريم بعد نزول الآية كما أن الخمر كانت على الإباحة إلى أن نزل تحريمها بالمدينة بعد يوم أُحد والذي لا ريب فيه أنه كان معصومًا قبل الوحي" وهذا هو الذي أريده هذا وجه الشاهد، يقول: "والذي لا ريب فيه أنه كان معصوما قبل الوحي وبعده وقبل التشريع من الزنى قطعًا ومن الخيانة والغدر والكذب والسُكر والسجود لوثن والاستقسام بالأزلام ومن الرذائل والسفه وبذاءة اللسان وكشف العورة فلم يكن يطوف عريانًا ولا كان يقف يوم عرفة مع قومه بمزدلفة بل كان يقف بعرفة" هذا كلام الإمام الذهبي – عليه رحمة الله –، شيخ الإسلام ابن تيمية عندما تطرق لهذه المسالة قال – عليه رحمة الله –: "وأما كونه كان لا يأكل من

ذبائحهم فهذا لا يُعلم أنه جاء به أثر" يقول ما عندنا دليل أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان لا يأكل من ذبائح قريش بل كان يأكل لكن ما هي هذه الذبائح؟ الذبائح التي كانت تذبح للطعام وللأكل والشرب يعني يأكلون ويشربون فتقدم ذبائح لهذا الشيء وليس المراد الذبائح التي قدمت للأصنام قربة فإن هذا لا يجوز، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لكن فرق بين ما ذبحوه للحم وما ذبحوه للنصب على جهة القربة للأوثان فهذا من جنس الشرك لا يباح قط في شريعة وهو من جنس عبادة الأوثان"، إذًا ظهر لنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الذهبي وغيرهم من العلماء كما سيأتي قالوا إن الرسول – عليه الصلاة والسلام – أكل من الذبائح لكن الذبائح التي كانت تقدم للطعام وليست الذبائح التي كانت تقدم للآلهة، ما كان يأكل منها – عليه الصلاة والسلام –.

إذًا نريد كذلك أن نتطرق إلى قضية أخرى وهي ما حصل مع زيد بن عمرو بن نفيل هذا الرجل هو والد سعيد بن زيد – رضي الله عنه – وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة سعيد بن زيد هذا والده زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أيضا ابن عم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – هذا الرجل زيد بن عمرو بن نفيل أنا سأتكلم أو سأقدم بمقدمة حتى نعرف أولًا من هو هذا الرجل؟ ثم ما الذي حصل معه مع رسول الله – عليه الصلاة والسلام – في مسألة أكل الذبائح؟ هذا لم يُدرك الإسلام توفي هذا الرجل في العام الذي حصل فيه بناء الكعبة عندما كان النبي – عليه الصلاة والسلام – عمره خمسًا وثلاثين في هذا العام توفي زيد بن عمرو بن نفيل، هذا الرجل لم يدرك الإسلام وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها ورحل إلى الشام باحثًا عن عبادات أهلها فدخل في اليهودية وسأل عنها فما رضي بها ثم النصرانية كذلك ما مال قلبه إليها فعاد إلى مكة فعبد الله على دين إبراهيم لهذا جاء في صحيح البخاري معلقا ووصله غيره وذكر ذلك الحافظ في تغليب التعليق: " أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلِّي أن أدين دينكم يقول لهذا اليهودي زيد يقول لليهودي لعلِّي أن أدين بدينكم فأخبرني؟ يعني كيف أدخل هذا الدين؟ وحدثني عن هذا

الدين عن اليهودية؟ فقال هذا العالم من اليهود: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله.

فلما سمعه زيد قال: ما أفر إلا من غضب الله يعني أنا خائف من غضب الله وأخاف من عذابه بل أنا أفر من هذا فكيف تقول لي لا بد أن ينالني ويأخذني شيء من هذا؟ أي أن آخذ نصيبًا من غضب الله؟ لا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا، يقول زيد: ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنى أستطيعه فهل تدلني على غيره؟ يعني أنا ما أستطيع أن أتحمل غضب الله – عز وجل – فقال دلني على غيره فدله على الحنيفية.

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا.

فقال زيد: وما الحنيف؟

قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر له مثل ما ذكر لليهودي أريد أن أدين بالدين فعرض عليه النصرانية فقال له لن تكون على ديننا أي على النصرانية حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله.

فقال زيد: ما أفر إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدا وأنَّى أستطيع فهل تدلني على غيره؟

فقال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا.

قال: وما الحنيف؟

قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم – عليه السلام – خرج فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم".

هذا في البخاري معلقا وقد وصله غيره أبو يعلى وغيره.

في رواية أخرى خارج الصحيح أنه قال: "إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم" فانطلق.

وفي بعض الروايات وإن كان فيها مقال انطلق وهو يقول: "لبيك حقًا حقا تعبدا ورقا البر أرجو لا الخال، هل مهجر كمن قال"، ثم يخر ساجدًا لله – عز وجل –

www.miraath.net

"البر أرجو لا الخال" المقصود أريد التقوى والبر ولا أريد الخال، الخال بمعنى الخيلاء والكبر" هل مهجر كمن قال" هل الذي يسير في الهاجرة وفي الظهيرة وفي الشمس كم كان في قيلولته بمعنى لا تصيبه الشمس؟ لا، لا يستويان.

فكان يقول هذا: "لبيك حقا حقا تعبدا ورقا البر أرجو لا الخال هل مهجر كمن قال" لهذا جاء في البخاري معلقا ووصله غيره من حديث أسماء أنها قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا وهو مسندٌ ظهره إلى الكعبة يقول: "يا معاشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري"

وكان يحيي الموؤدة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤونتها فيأخذها يأخذ هذه البنت حتى إذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها، يعني كان يأتي إلى البنات الصغار اللاتي يريد آباؤهن أن يدفنوهن في التراب الموؤدة فيقول لا تفعل هذا مماذا تخاف من الفقر؟ أنا سأكفيك هذا لأنه كما هو معروف كانوا يكثرون من هذا الفعل ما هو السبب؟ كما ذكر الله من الإملاق ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[الأنعام:151]فكان زيد هذا الرجل الذي كان على دين إبراهيم - رضي الله عنه - كان يأخذ هؤلاء البنات ويقوم بكفالتهن ثم يردهن إلى أبائهن إن شاءوا دفع إليهن أو إليهم وإن لم يشاءوا ما زال مستمرًا في كفالة البنات، لهذا كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول لهم: "إن الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله؟" إنكارا لذلك وإعظاما له، كان ينكر هذا ويعظم الله - عز وجل - أن يفعلوا بنعمته التي أنزلها عليهم وهي الشاة التي أنزل لها الماء وأنبت لها الأرض أن يذبحوها للأنصاب والأصنام والأوثان ويقربونها لغير الله - تبارك وتعالى - كان يعيب ويحذرهم من هذا

ولهذا لما سُئل النبي - عليه الصلاة والسلام - عن زيد سأله ابنه سعيد كما جاءت في بعض الروايات قال: ((يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ)) هذا الحديث حسنه بعض المحققين منهم الإمام الذهبي - عليه رحمة الله - والشيخ الألباني وغيرهم.

هو مات كما ذكرت لكم قبل البعثة بخمس سنين حتى إن بعض المفسرين قالوا إن قول الله - عز وجل -﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾[الزمر:17] قالوا نزلت أو سبب نزولها في

ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون "لا إله إلا الله" ذكروا منهم أو هم زيد بن عمرو بن نفيل هذا الذي نتحدث عنه، وذكروا كذلك أبا ذر الغفاري، وذكروا سلمان الفارسي، وإن كانت الآية شاملة لا شك ولا ريب شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، لكن أصحاب أسباب النزول منهم الواحدي وغيره ذكروا أنه نزلت في هؤلاء حتى الطبري في تفسيره ذكر هذا.

إذًا زيد بن عمرو بن نفيل كان يتبع الدين الحنيف دين إبراهيم – عليه السلام – وكان لا يصنع ما تصنعه قريش، إذًا هذا الرجل حصل بينه وبين النبي – عليه الصلاة والسلام – أمر، وهذا الأمر هو أنه جاء في بعض الروايات عند أحمد في مسنده وعند الطبراني كذلك في معجمه وعند البزار وغيره أن هذا الرجل زيد بن عمرو مر مرة على النبي – عليه الصلاة والسلام – وكان مع النبي – عليه الصلاة والسلام – زيد بن حارثة فدعوا هذا الرجل قالوا له تعالَ كُل معنا، معنا سفرة فقال زيد بن عمرو وهو يخاطب النبي – عليه الصلاة والسلام – قبل البعثة: "يا ابن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب"

قال زيد بن حارثة: فما رُؤي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك اليوم أكل مما ذبح على النصب، هذا الحديث ظاهره أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان يأكل مما يذبح على النصب لكن هذا الحديث لا يصح ضعيف وسبب ضعفه أنه من طريق المسعودي، والمسعودي فيه كلام كثير لأهل العلم فقد اختلط في آخره كما ذكر علماء الجرح والتعديل – عليهم رحمة الله – واسمه عبد الرحمن بن عبد الله وقد ضعف هذا الحديث جمع من المحققين الإمام الذهبي والشيخ الألباني وكثير من العلماء بسبب المسعودي ولأنه كذلك يرويه أي المسعودي عن نُفيل بن هشام عن أبيه وهذا نفيل أيضا لا يعرف أحد من أهل العلم وثقه وذكر أنه ثقة بل ابن معين صرح أنه قال لا أعرفه فهذا لا شك ولا ريب أنه في عداد المجاهيل، هذه الرواية لا تصح وهي ضعيفة.

إذًا هل أكل النبي – عليه الصلاة والسلام – مما كان يُذبح على النصب؟ وهل كان يأكل من ذبائح قريش؟ نحن قد ذكرنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما كان يعبد الأصنام وما كان يتقرب إليها وما كان يفعل شيئا من ذلك أبدا، لكن مع هذا قد تنازع العلماء في حال النبي – عليه الصلاة والسلام – قبل النبوة في بعض الأمور، لكن لا يتبادر إلى الذهن أبدًا أن

العلماء اختلفوا هل الرسول كان يعبد الصنم أو لم يكن يعبد الصنم؟ أبدًا لم يحصل هذا بل هم مجمعون جميعا على أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ما كان يعبد الأصنام ولا يتقرب إليها بل حفظه الله - عز وجل - من أشياء كثيرة، بل حفظه من كشف العورة فكيف لا يحفظه من عبادة الأصنام.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذكر الخلاف الذي حصل بين أهل العلم يقول: "وقد تنازع الناس في حال نبينا - صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة وفي معاني بعض هذه الآيات" يقصد بالآيات شيخ الإسلام ابن تيمية آيتين: آية في سورة الأعراف، وآية في سورة إبراهيم وسيأتي الكلام حولها لأن لها علاقة هل هذا خاص بالنبي - عليه الصلاة والسلام -؟

يعني هل يُتصور أن هناك نبي قبل أن يبعث كان يشارك قومه في عبادة الأصنام؟ سيأتي معنا أن هذا اختلف فيه العلماء وهو خلاف معتبر بينهم حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمقصود أن هذا النزاع في وقوع الذنوب منهم قبل النبوة هو بين أصحاب الحديث وأهل السنة"، قال يعني ليس المقصود أن الخلاف مع المعتزلة فقط قال وليس هو قول المعتزلة بل هو بين أصحاب الحديث وبين أهل السنة وسيأتي إن شاء الله الخلاف في ذلك وذكره.

أما الآيتان التي قصدهما شيخ الإسلام الآية الأولى هي ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[الأعراف:88] هذا هو الشاهد ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ما معنى العود؟ هل كان شعيب ومن معه كانوا يعبدون الأصنام حتى قال لهم قومهم ﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ يعني ترجعون كما كنتم من قبل تعبدون الأصنام.

والآية الثانية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[إبراهيم:13] وهذا هو الشاهد ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ فشيخ الإسلام سيأتي الكلام إن شاء الله ذكر الخلاف، لكن الذي أريده الآن الخلاف الذي حصل في حال نبينا خاصة - عليه الصلاة والسلام - قبل النبوة فقال شيخ الإسلام عندما ذكر الخلاف ذكر القول الأول.

فقال قوم: "لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - على دين قومه ولم يأكل من ذبائحهم" وهذا هو المنقول عن أحمد بن حنبل قال أحمد: "من زعم أنه كان على دين قومه فهو قول سوء" يعني هذا قول باطل ما يقوله أحد، بل في بعض الروايات ذكرها الخلال في السنة أنهم

سألوه، قالوا له إن فلان الفلاني يقول بهذا القول فقال: "أرى أن يحذر من كلامه وأرى أن يهجر" الذي يقول أن الرسول كان يعبد الأصنام ويعبد الأوثان أحمد بن حنبل يقول هذا لا يُجالس ويجب أن يحذر منه هذا لا يقوله مسلم، إذًا هذا هو القول الأول

ثم تطرق شيخ الإسلام إلى ذكر الأدلة في ذلك ثم قال والقول الثان: "إطلاق القول بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان على دين قومه وتفسير ذلك بما كانوا عليه من بقايا دين إبراهيم لا بالموافقة لهم على شركهم".

إذًا أصحاب القول الثاني قالوا نقول إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان على دينه نقول لهم ماذا تريدون عندما تقولون كان على دين قومه فسروا لنا؟ هل يعبد الأصنام؟ ويعبد الأوثان؟ حاشا كلا ما يقولون بهذا القول، يقولون: لا الموافقة على الشرك لا نقول به طيب ماذا تريدون؟ قالوا نريد البقايا التي حصلت من دين إبراهيم، اضربوا مثالا قالوا مثل حج البيت ومثل الختان ومثل النكاح ومثل كذلك غسل الجنابة، وذكروا أيضا تحريم المحرمات ما كان أحدهم يتزوج أمه أو أخته ماكانوا يتزوجون المحرمات بالقرابة بخلاف المحرمات بالصهر المحرمات بالصهر نعم كانت قريش تصنعه، كان الرجل إذا مات أبوه قد يتزوج امرأة أبيه التي هي ليست أمه، يتزوج امرأة أبيه التي هي زوجة أبيه، إذًا هذا مراد العلماء عندما أطلقوا وقالوا إنه كان على دين قومه ولا تجد عالما من علماء المسلمين يقول إنه كان يعبد الأصنام وكان كذا، ولهذا المراد أنه عندما قالوا على دين قومه أي بمعنى كان على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بالشرائع التي تركها إبراهيم وكان لا يقرب الأوثان بل كان يعيبها، كان يعيب هذه الأوثان وكان أيضا لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده حتى أوحى الله – عز وجل – إليه قبل الوحي ما كان يعرف ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾[الشورى:52] أي القران ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي شرائع الإيمان، إذًا هذا هو القول الثاني.

إذًا المسألة خلافية في هذا الباب فقط وليس في باب عبادة الأصنام كلهم متفقون على أن النبي – عليه الصلاة والسلام – ما فعل هذا ولا يحصل منه – عليه الصلاة والسلام – ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عليه – رحمة الله –: "وكان الله قد نزهه من الأعمال المنكرة أعمال الجاهلية فلم يكن يشهد مجامع لهوهم وقد كان همَّ بشيء من ذلك فضرب الله على أذنه فأنامه" هذا يقصد به شيخ الإسلام حديث علي بن أبي طالب الذي ذكرناه آنفا عندما

أراد أن يشارك قريشا في اللهو يقول لما همَّ الرسول بشيء من ذلك ضرب الله على أذنه فأنامه، نام – عليه الصلاة والسلام – حتى أيقظه مس الشمس وكذلك يقول شيخ الإسلام: "وكذلك كانت قريش يكشفون عوراتهم لشيل حجر وغيره فنزهه الله عن ذلك وكانوا يسمونه الصادق الأمين فكان قد صانه من قبائحهم ولم يُعرف منه قط كذبه ولا خيانة ولا فاحشة ولا ظلم قبل النبوة بل شهد مع عمومته حلف المطيبين على نصرة المظلوم"

إذًا عرفنا من هذا الكلام الرائع الجميل كلام الذهبي وكلام شيخ الإسلام أن النبي – عليه الصلاة والسلام – ماكان يُعرف عنه الخيانة ولا الغدر ولا الكذب ولا شرب الخمر ولا السجود للأصنام ولا الاستقسام بالأزلام بل كان الله يحفظه ويكلؤه لما انكشفت عورته الله – عز وجل – حفظه وستر هذه العورة بخلاف قريش كانت تصنع هذه الأشياء بل كانوا يسمونه الصادق الأمين.

إذًا هذا في نبينا – عليه الصلاة والسلام – يقول شيخ الإسلام: "فلا يلزم إذا كان نبي قبل النبوة معصوما من كبائر الإثم والفواحش صغيرها وكبيرها أن يكون كل نبي كذلك ولا يلزم إذا كان الله قد بَغض إليه شرك قومه قبل النبوة أن يكون كل نبي كذلك فما عُرف من حال نبينا – عليه الصلاة والسلام – وفضائله لا تناقض ما روي من أخبار غيره إذا كان دون ذلك ولا يمنع كون ذلك بنبينا ولكن الله فضل بعض النبيين على بعض كما فضلهم في الشرائع والكتب والأمم فهذا أصل يجب اعتباره"

إذًا شيخ الإسلام يشير إلى أن الخلاف معتبر وأنه موجود في غيره من الأنبياء وذكر شيخ الإسلام في كتابه العظيم تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء ذكر أن الخلاف معتبر وأنه موجود وأن الآية التي في سورة الأعراف التي فيها يا شعيب والذين آمنوا معه عندما خاطبوه قالوا له ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ وكذلك الآية التي في سورة إبراهيم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ قالوا هذا دليل على أنه حصل خلاف بين العلماء على ما معنى العود لما قال لتعودن في ملتنا فذكر شيخ الإسلام حتى قال – عليه رحمة الله – وهو يؤكد هذا الخلاف: "وأما قولهم أن شعيبا والرسل ما كانوا في ملتهم قط وهي ملة الكفر فهذا فيه نزاع مشهور"

انتبهوا الكلام الآن الذي نتكلم فيه هو قبل البعثة وقبل النبوة سيأتي إن شاء الله معنا في دروس السيرة سنتكلم عن عصمة النبي – عليه الصلاة والسلام – أو عصمة الله لنبيه – عليه الصلاة والسلام – بعد النبوة وأظن هذا سيأتي معنا في الكلام حول قصة الغرانيق وهل ثبت أن الشياطين أو الشيطان ألقى في قراءة النبي – عليه الصلاة والسلام –؟ على كل حال هذا الذي ذكرته هو ما ذكره العلماء – رحمهم الله – وأنا أطلت في هذه المسألة لأهميتها وكذلك حتى ندفع الشبه لاسيما في قول الله – عز وجل – ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ذكرنا أن الضلال يختلف فذكرنا أنه البعيد ومنه القريب وشيخ الإسلام أشار إلى هذا في كثير من كتبه.

الآن نرجع إلى قصة زيد بن عمرو بن نفيل ذكرت قصة هذا الرجل وتكلمت عنه وقلت أنه كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول لهم وهو يخاطبهم "الشاة خلقها الله – عز وجل – وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها أو تذبحوها لغير الله أو على غير اسم الله" إنكارا لذلك وإعظاما له.

جاء حديث آخر غير الحديث الذي ذكرته الذي فيه المسعودي هذا ضعيف ذكرناه هناك حديث آخر ذكره العلماء رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ورواه غيره كذلك فيه أن زيد بن حارثة – رضي الله عنه – يقول والحديث طويل لكن لابد أن أذكره حتى يعني هل يُستدل به على من ذهب أو من ذكر أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان يأكل من ذبائح قريش أي التي تقرب للأصنام؟ الحديث فيه أن زيد يقول: خرجت مع رسول الله – عليه الصلاة والسلام – يومًا حارًا من أيام مكة وهو مُردفي إلى نصب من الأنصاب قد ذبحنا له شاة فأنضجناها قال فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل فحيا كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية، يعني لما التقى النبي – عليه الصلاة والسلام – مع زيد بن عمرو بن نفيل كل واحد حيا صاحبه بتحية الجاهلية المعروفة عندهم جاء في بعض الروايات عند الأصبهاني في دلائل النبوة أنه قال أنعم صباحا يعني هذه هي التحية فقال له الرسول – عليه الصلاة والسلام – يقول لزيد يا زيد ما لي أرى قومك قد شنؤوك؟ يقول لزيد بن عمرو لماذا القوم يعني أبغضوك؟ فقال له: يا محمد والله إن ذلك لَبِغَيْرِ نائلة لي فيهم ولكني خرجت أبتغي هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك فوجدتهم يعبدون الله سبحانه ويشركون به فقلت ما هذا بالدين، يعني هذا زيد بن عمرو يقول أنا خرجت أريد أن أعرف ما هو الدين الحق فكان لما يرى عبادة الأصنام

www.miraath.net

ويرى الشرك يقول: هذا ما هو بدين، فلما دخل على أحبار اليهود رآهم يشركون بالله قال: فقلت ما هذا بالدين الذي أبتغي حتى أقدم على أحبار خيبر فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي.

قال: فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت فقال لي شيخ منهم إنك تسأل عن دين ما نعلم أحدًا يعبد الله به إلا شيخًا بالحِيرة - منطقة قريبة من الكوفة -.

قال: فخرجت حتى أقدم عليه فلما رآني قال ممن أنت؟

قلت: أنا من أهل بيت الله من أهل الشوق والقرظ يعني أنا من مكة من أهل بيت الله من مكة من الحرم.

فقال له هذا اليهودي أو هذا الحبر: إن الذي تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبي طلع نجمه وجميع من رأيتهم في ضلال يعني كل من رأيتهم من اليهود والنصارى وعباد الأصنام والأوثان كلهم في ضلال لكن هناك نبي سيخرج وهو أين هذا الرجل؟ قال له طلع نجمه وهو هناك ظهر ببلادك.

فقال: فلم أحس بشيء يعني زيد بن عمرو يقول وهو يخاطب النبي - عليه الصلاة والسلام -: ما وجدت شيئا لما رجعت إلى مكة مع أنه هو يخاطب النبي - عليه الصلاة والسلام - لكن كان ذلك قبل البعثة فقال فلم أحس بشيء.

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يستمع إلى هذا إلى زيد فقرب إليه جاء في الرواية فقرب إليه السفرة فقال ما هذا يا محمد؟ قال شاة ذبحت لنصب من هذه الأنصاب

فقال زيد: ما كنت لآكل مما لم يذكر اسم الله عليه وتفرقا، ما أكل شيء فخرج زيد بن حارثة فأتى النبي - عليه الصلاة والسلام - البيت فطاف به هو وزيد فكان يطوف - عليه الصلاة والسلام - ومعه زيد بن حارثة وطاف بين الصفا والمروة كذلك عندما كان يطوف بين الصفا والمروة كان هناك صنمان من نحاس أحدهما يقال له إساف والآخر نائلة وكان المشركون إذا طافوا بهما تمسحوا بهما فقال النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو يخاطب زيد لا تمسحهما فإنهما رجس يخاطب زيدًا يقول له لا تمسح لا تفعل هذا الفعل لا تمسحهما فإنهما رجس فقال: زيد فقلت في نفسي لأمسنَّهما يعني سأفعل وهو يخاطب نفسه فطافوا

www.miraath.net

فرجعوا مرة أخرى إلى الصنم فمس زيد الصنم مرة أخرى فقال له النبي – عليه الصلاة والسلام – يا زيد ألم تُنهَ؟ يعني ألست أنا قد نهيتك عن هذا.

قال زيد بن حارثة: ثم مات زيد بن عمرو بن نفيل وأنزل الله على رسوله يعني الوحي وبعث النبي – عليه الصلاة والسلام – فقال النبي – عليه الصلاة والسلام — أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، انتهى الحديث وبعضهم يختصره فيذكر الفقرة الأخيرة التي فيها مس الصنم.

هذا الحديث فيه أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كان قبل النبوة يبغض عبادة الأصنام ولكنه ما كان ينهى قريش نهيا عاما ما كان يقول للناس يا أيها الناس لا تفعلوا هذا وإنما كان ينهى خواصه مثل زيد بن حارثة قال له لا تفعل هذا الفعل نهاه نهى زيد بن حارثة أن يمس هذا الصنم فقال له: ألمُ تُنهَ على كل حال هذا الحديث من العلماء من ضعفه منهم الإمام الذهبي وقال فيه ألفاظ منكرة لماذا؟ لأن في الحديث قال فيه ما هذا يا محمد؟ قال: شاة ذُبحت لنصب من هذه الأنصاب فقال زيد بن عمرو: ما كنت لآكل مما لم يذكر اسم الله عليه قالوا فهل يعقل أن النبي – عليه الصلاة والسلام – يأكل من شاة ذبحت لنصب من هذه الأنصاب؟ فضعف هذا الحديث الذهبي واستنكره وحسن هذا الحديث أيضا جمع من أهل العلم منهم المقدسي الضياء صاحب المختارة وكذلك شيخ الإسلام أشار إلى هذا وأشار إلى تصحيح الضياء لهذا الحديث ومنهم الشيخ الألباني، والحافظ ابن حجر أيضا، لكن ماذا قال الحافظ ابن حجر عندما حسن هذا الحديث؟ قال بعد إن ذكر أن الحديث حسن وإنه ليس بضعيف قال: " وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور فإنما يُحمل أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام " يعني ما عندنا دليل في الحديث أنه ذَبح لصنم ما عندنا دليل عندنا أنه خرج فذبح على النصب النصب معروف أنه يطلق على الأوثان ويطلق على الأحجار.

ثانيا: ليس في الحديث أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – هو الذي ذبح إذا كان زيد فعل هذا فقد مس زيد الصنم نائلة وإساف ونهاه النبي – عليه الصلاة والسلام – فإن كان زيد فعل هذا لايوجد في الحديث أنه ذبحه لصنم أولًا، ثم الرسول – عليه الصلاة والسلام – ما عندنا دليل أنه أكل من هذه الذبيحة وإنما استفسر منه زيد بن عمرو قال له: ما هذه يا محمد فقال له: شاة ذبحت لنصب من هذه الأنصاب فلا شك أن النفس تميل إلى ضعف

هذا الحديث الذهبي ضعفه بسبب محمد بن عمرو أو ابن علقمة، ومن حسنه الحافظ، والألباني، وابن تيمية قبل ذلك، والضياء قبلهم جميعا ومع ذلك الذين حسنوه كالحافظ ابن حجر، والإمام الخطابي قبلهم، وابن تيمية لا يوجد أحد منهم أبدا فهم من هذا الحديث أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – أكل مما ذبح للوثن أو قرب للوثن؟ ولهذا قال الإمام الخطابي: "كان النبي – عليه الصلاة والسلام – لا يأكل مما يذبحون عليها الأصنام أي يذبحون على الأصنام من هذه الذبائح ويأكل ما عدا ذلك وإن كانوا لا يذكرون اسم الله " عليها هذا ينطبق مع الكلام الذي مر معنا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أن النبي – عليه الصلاة والسلام – إذا أكل يأكل مما يذبحونه فقط للحم وليس مما يذبحونه للنصب على جهة القربى والأوثان لأن هذا من جنس الشرك لا يُباح قط في أي شريعة من الشرائع وهذا كلام الخطابي، وكذلك كلام الحافظ ابن حجر، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحم الله الجميع – فكلهم على تحسينهم للحديث والقول بأنه صحيح كلهم يقولون لا يُفهم منه أنه أَكل النبي – عليه الصلاة والسلام – هذه الشاة ففي الحديث أنه لم يأكل ولا دليل وكذلك هذا النُصب قد يراد به الحجارة ولا يراد به الأوثان، وكذلك الذي فعل هذا زيد وليس النبي – عليه الصلاة والسلام –، ومع هذا كله قد جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قُدمت إليه سفرة فيها لحم فامتنع وما أكل، ثم قدمت لزيد بن عمرو بن نفيل فما أكل وقال إني لا آكله قالوا إذًا الرسول – صلى الله عليه وسلم – امتنع وزيد كذلك امتنع فالنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يأكل من هذا اللحم.

بعض أهل العلم ذهب إلى أن هذه رواية وإن كانت في البخاري إلا إنه قد جاءت روايات من طريق موسى بن عقبة لأن الحديث مداره على موسى بن عقبة، فثلاثة من الرواة رووا عن موسى أن السفرة التي قدمها هو الرسول – عليه الصلاة والسلام – قدمها لمن؟ لزيد
وفضيل آخر، فضيل بن سليمان روى عن موسى بن عقبة أن السفرة قُدمت للرسول ثم امتنع الرسول ثم قُدمت لزيد بن عمرو فامتنع زيد بن عمرو على كل حال إن قلنا أن الرواية صحيحة فلا دليل فيها وإن ضعفنا الرواية فلا إشكال أصلا لماذا؟ لأن العلماء كما ذكرت

www.miraath.net

لكم أجمعوا أن الرسول لا يأكل وما حصل منه أنه أكل مما ذبح على الأصنام أو ذبح للأصنام ومما قُرب إلى هذه الأصنام وقد ذكرت لكم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الخطابي والحافظ ابن حجر.

إذًا هذه خلاصة هذه المسألة وإن كنت قد أطلت فيها لكنني أطلت فيها لأهميتها ولما أثاروه من بعض الشبه وقد أطال النَفس فيها شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه رحمة الله – في كتابه تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ ذكر هذا في المجلد الأول وأطال الكلام من صفحة تقريبا مائتين أو قبل ذلك مائة وتسعين إلى ما بعدها عند تفسير هذه الآية ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾

على كل حال شيخ الإسلام ابن تيمية يقول وهذا نختم به الدرس يقول – عليه رحمة الله –: "وأما تحقيق القول فالله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من خيار قومه أو من كان خيار قومه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:124] وقال ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج:75] بل قد يُبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – من أهل بيت ذي نسب طاهر، يعني الله – عز وجل – يبعث النبي من أشرف الأنساب كما قال هرقل لأبي سفيان: كيف نسبه فيكم؟

قال: هو فينا ذو نسب.

قال: وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها.

يقول شيخ الإسلام: وقد قالوا لشعيب مع استضعافهم له ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود:91].

إذاً بهذا القدر نكتفي وإن شاء الله تعالى في الأسبوع القادم سنتكلم عن بدء الوحي وما حصل للنبي – عليه الصلاة والسلام – من أمور في غار حراء وكيف كذلك ما حصل مع خديجة – رضي الله عنها –.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط www.miraath.net وجزاكم الله خيرا